التّفكّر والتّأمّل السّديد مع أَخْذ العِظَة والعبرة من الصَّيف والحَر الشّديد

2021-06-25

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، أظهر العجائب في مصنوعاته، ودلّ على عظمته بمخلوقاته، فأمر بالتّأمّل والتّدبّر والنّظر في أرضه وسماواته، فسبحانه من إله عاقب بين الليالي والأيام، ونوّع بين الشهور والفصول والأعوام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرب الجليل عظيم السلطان، مدبّر الأكوان، كلَّ يوم هو في شأن، وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله. أرسله ربّه رحمة للعالمين. وقدوة للمتّقين الصابرين. فشرح به الصدور، وأنار به العقول، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلفاً. اللهم أجزِه عنّا أفضل ما جزيتَ نبيّاً عن أُمّته، وأَعْلِ على جميع الدرجات درجته، واحشرنا تحت لوائه وزمرته، وأوردنا حوضه وفي الجنّة مجاروته. اللهم آمين.

يا أمّة المصطفى الهادي إلى الرَّشَدِ * والمُرتَجين ثوابَ الواحِدِ الصّمَدِ
إن شئتُمُ أنْ تنالوا أعظمَ المَدَدِ * من الإله وتَنجوا في شفاعتِهِ
صلّوا على المصطفى يا أهلَ مِلّتِهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. سيّد العرب والعجم. وعلى آله ينابيع العلوم والحِكَم. وصحابته الطاهرين الخُلُق والشيّم. صلاة تفتح لنا بها أبواب الفضل والكرم. وتهطل بها علينا سحائب الخيرات والنِّعم. وتدفع بها عنّا هواجم البلايا والنِّقَم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. نعيش في هذه الأيام في أشدّ فصول العام حرارة، بل نعيش في أشدّ أيام الصيف حرارة، حرٌّ شديدٌ يعاني منه الناس معاناة شديدة لحكمة يعلمها علاّم الغيوب، ومالك الملك فلا إله إلا هو ما أقواه! وما أضعف الإنسان! وما أهونه!. هل يستطيع أحدٌ من البشر

أن يخفض درجة الحرارة؟ أم هل يستطيع تخفيف حرارة الشمس؟ ما سبب هذا الحرّ؟ هل له من منافع؟ هل سبق أن مرّ على الناس مثله؟ أسئلة ومناقشات تدور على ألسنة الناس. أيّها المسلمون. والنّاظر في أحوال الناس في الحَرّ الشديد والشمس المحرقة يجدها متباينِة، ما بين غافل لا يرى في الحَرّ سوى ارتفاع لدرجات الحرارة، وأنه أمرٌ يتطلّب منه البحث عن وسائل الوقاية منها والهروب من أثرها بأيّ طريقة كانت، وتشتدّ غفلة البعض حتى تجده يسبّ الحَرّ ويشتم القيظ، وتجد بعض الناس يخرج على الشواطئ بلباس فاضح، فيه قلّة حياء وأدب، بقصد التبرّد والتخلّص من الحرارة، وهؤلاء لا يرَوْن في الحَرّ الشديد وتوهّج حَرّارة الشمس سوى تقلّبات الطقس الطبيعية، وهم عن خالقها غافلون. ولكن المؤمن الحق. والمسلم الصادق. هو الذي يؤمن بالله خالقا للكون ومدبّرا لأمره كله؛ يفقه أنّ هذه الحرارة الشديدة، وهذا التوهّج المحرق للشمس، هو بقدرة الله. وبفعل الله. وبتدبير الله، وأنّه آية عظيمة من آيات الله. يفقه أنّ في هذا الحرّ الشديد المحرق عِبَر أرادها الله تعالى، وكشف لنا الوحي عن شيء منها، والتفكّر والإعتبار يؤدي إلى عبادة عظيمة يُؤجر عليها، ألا وهي عبادة (التفكر في خلق الله تعالى). والتي هي من صفات أُولي الأبصار والألباب، قال تعالى في سورة النور:((يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَار)). فكم من الحِكم والفوائد والعِبر في هذه الأحوال المتفاوتة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، أيّها المسلمون. وإنّ من الوقفات المهمّة في مثل هذه الأجواء. أن يتذكّر الإنسان ضَعفه ومسكنته، وأنّه بأمسّ الحاجة إلى ربه. قلل تعالى في سورة فاطر:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ)). فعليه أن يُحسن في عبادة ربه، وأن يُكثر من دعائه، والتضرّع إليه. ومن هذه الوقفات أن يفكّر الإنسان في إخوانه المسلمين الذين يَبقون مَدَدًا من الزمن، تصهرهم حرارة الشمس، وتحرقهم حرارة الرمضاء، بلا ظِل ولا مأوى. قد شُرِّدوا من أوطانهم، وأُخرجوا

من ديارهم، وأنهكتهم الحروب، ومسّهم الجوع في أقطارٍ من العالم. إنّ لهم حق المواساة بالكسوة والطعام، والدعاء. وهذا يوجب علينا أيضا أن نشكر الله جلّ وعلا. الذي أطعم من جوع، وآمن من خوف. ويؤكّد علينا شُكْر القلب واللسان والجوارح، فعندنا من الأجهزة والوسائل ما ندفع به حرارة الجوّ، وشدّة الصيف. عوازل حرارية، وأجهزة كهربائية، ونِعَمٍ متعدّدة، وأشربة مبرَّدة. قال تعالى في سورة النحل:((وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)). فأين الشاكرون؟ قال تعالى في سورة البكاثر:((ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)). جاء في سنن الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قَالَ:((إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي الْعَبْدَ مِنْ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ وَنُرْوِيَكَ مِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ)). أيّها المسلمون. إنّ من عِبَر هذا الحَرّ الشديد أنه يوصلنا بعوالم الغيب وعالم الآخرة الذي لا نراه، نَعَم، ترتبط حَرّارة الدنيا الشديدة بعوالم الغيب في عقيدتنا، كيف ذلك؟ يذكِّرُنا الوحي بهذه الحقيقةِ؛ فكما جَاءَ في الصحيحَين عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:((اشتَكَت النار إلى ربها فقالت: يا ربِّ: أكل بعضي بعضًا، فأذِن لها بنفَسَين: نفسٍ في الشتاء ونفسٍ في الصيف، فأشَدُّ ما تجِدون من الحَرّ من سموم جهنّم، وأشدّ ما تجدون من البرد من زمهرِير جهنّم))، وروى الجماعة أيضًا عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:((إذا اشتدَّ الحَرّ فأبرِدوا بالصلاةِ. أي: صلاةِ الظهر. فإنَّ شدّةَ الحَرّ من فَيْح جهنّم))، ونحن نؤمن بذلك ونصدّقه ونوقن به؛ فما من حَرّ شديد ولهيب محرق إلا وهو ناتج حقيقة عن تنفّس جهنّم ذلك النَّفَس الذي أذن الله لها به؛ فإذا كان هذا من نفسها في الصيف، فكيف بأنفاسها جميعا؟ وما حال مَن يُعذَّبون فيها؟ ومَن هم خالدون مخلَّدون في النار؟ نعوذ بالله من جهنّم وعذابها. أيّها المسلمون. فلِكَيْ يتذكّر العباد شدّة حرارة النار الكبرى في هذه الدار الدنيا، تعاقب عليهم الحر بين أوانه وأخرى. ولمّا قال المنافقون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم:((لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ)). قال الله تعالى في سورة التوبة رَدًّا عليهم:((قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ

فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)). لكن أهل الإيمان على صلاتهم دائمون، وإلى أعمال الخيرات يسارعون، يحتسبون خُطاهم، ويقمعون هواهم، ويرضون مولاهم، ويخشون النار الكبرى. يحافظون على الجُمَع والجماعات، ويؤدّون الصلوات في بيوت الله، رجاء ثواب الله. ثبت في الصحيح:((أنّ رجلا من الأنصار يمشي إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي فيه كل وقت في الحر والبرد، والليل والنهار، وكان بيته بعيدا من المسجد، فقيل له: يا فلان لو اشتريتَ حمارا تركبه في حر الرمضاء وفي الليلة الظلماء؟ قال: واللهِ لا أحب أنّ منزلي بجوار المسجد. إنّي أحب أن يُكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد جَمع الله لك ذلك كله)). وفي القرآن:((وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)). وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((مَن صلّى البُرْدَيْن دخل الجنة)). وهما صلاة الفجر والعصر. فيا ليتَ مَن هجر المساجد في غالب أوقاتهم أن يتذكّروا ما رُتِّب على هذه الأعمال الصالحات من أجرٍ وجزاء، وما تَوعّد التاركين لها بوعْد ووعيد. سمعتْ إمرأة من الصالحات قول القارئ من سورة الحجر:((وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ)). فقالت للقارئ: (أعِدْ رحمك الله، فأعاد، فقالت: في بيتي سبعة من الأرّقاء. أُشهدكم أنّهم أحرار لوجه الله. لكل باب منهم واحد). وقال إبراهيم التيمي: (مثّلتُ نَفْسِي فِي الْجَنَّةِ آكُلُ ثِمَارَهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا، وَأُعَانِقُ أَبْكَارَهَا، ثُمَّ مَثَّلْتُ نَفْسِي فِي النَّارِ آكُلُ مِنْ زَقُّومِهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ صَدِيدِهَا، وَأُعَالِجُ سَلاسِلَهَا وَأَغْلالَهَا، فَقُلْتُ لِنَفْسِي: أَيْ نَفْسِي، أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدِينَ؟ قَالَتْ: أُرِيدُ أَنْ أُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا، فَأَعْمَلَ صَالِحًا، قَالَ: قُلْتُ: فَأَنْتِ فِي الأُمْنِيَةِ، فَاعْمَلِي). فرحم الله أولئك الأقوام، لقد كانوا يهربون من النار وأعمالِهما، ويسعَوْن إلى الجنّة وأعمالِها، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (صوموا يوما شديدا حرُّه، لحرِّ يوم النُّشور، وصلّوا ركعتيْن في ظُلمة الليل لظُلمة القبور). وكان بعض

السلف يصوم في الصيف طلبا لكثرة الأجر، ويقول قائلهم: (إنّ الشيء إذا رخص اشتراه كل أحد). وفي الصحيحين أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:((مَن صَام يومًا في سبيل الله عزّ وجلّ بَاعَد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا)). أيّها المسلمون. هناك مَن ينعم بالإستظلال بظل الله يوم لا ظل إلا ظله؛ فلنكن منهم، ولن نكون منهم إلا إذا قدّمنا الثمن لذلك، قال صلى الله عليه وسلم، كما في الصحيح:((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ؛ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)). فَلنعْتَبِرْ يَا عَبادَ اللهِ بِحَرِّ الدُّنْيَا لِحَرِّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَحَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ. قال تعالى في سورة النساء:((كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ)). نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُجِيرَنَا وَوَالِدِينَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَأَحْبَابَنَا وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ ((رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا)). اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة. اللهم آمين. والحمد لله رب العالمين. اهـ

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين. حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهذ أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه. وعلى آله وصحبه والتابعين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. أختم خطبتي بأمور هامّة. الأمر الأوّل: الحر خلْق من خلْق الله. فيه مصالح للأبدان، وللزروع والثمار، فلا يجوز سبه أولعنه، فالحر قدر من أقدار الله تعالى، ولا يجوز أن نسخط على قدر الله تعالى، وكذلك إن الصيف زمان من الأزمنة التي خلقها الله تعالى، ولا يجوز سبه فإن سب الصيف سب لخالقه، روى البخاري ومسلم عَن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ

آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ. بِيَدِي الْأَمْرُ. أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)). الأمر الثاني: يُسنّ للمسلم أن يغتسل إن أصابه العرق، حتى لا يؤذي إخوانه برائحته. ويؤذي الملائكة. فإنّ الملائكة تتأذّى ممّا يتأذّى منه بنو آدم، ويجب على كلُّ مصلٍّ فيه رائحة يتأذَّى منها المصلّون، ويُمكن أن يُزيلها، فعليه أن يُزيلها. سواء كانت هذه الرائحة بسبب اتِّساخ الثياب، أم بسبب قلَّة الإغتسال والعرق الكثير، فيجب عمل ما من شأنه إزالة الرائحة، سواء بتبديل الثياب، أم الغَسل، أم غير ذلك. ولذا شُرع التّطهّر والتزيّن للصلاة. قال تعالى في سورة الأعراف:((يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)). وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أنَّها قالت:((كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم من العوالي، فيأتون في العَبَاء، ويصيبهم الغُبار، فتخرج منهم الرِّيح، فأتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إنسانٌ منهم وهو عندي، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: لو أنَّكم تطهّرتم ليومكم هذا))؛ وفي رواية النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت:((كان الناس يسكنون العالية فيحضرون الجمعة وبهم وسخ، فإذا أصابهم الرَّوْح سطعت أرواحهم فيتأذّى بها الناس، فذُكِرَ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أَوَلاَ يغتسلون؟)). فعلى الإنسان أن يغتسل حتى يذهب عنه الرائحة الكريهة من عرق وغيره. وليتعاهد المسلم نفسه دائماً، وليكن حَسَن المنظر. طَيّب الرائحة، لا يُرى منه إلا ما يَسُّر. نسأل الله تعالى أن يجيرنا من النار، وأن يظلّنا تحت ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلا ظله.اللهم أجِرنا من النار، اللهم أجِرنا من النار، اللهم أجِرنا من النار، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم إنّا نسألك الفردوس الأعلى من الجنّة، اللهم اكتب لنا أجر الصابرين. ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين أجمعين. اللهم اجعَلَنَا مِنْ عبادِك الطاهرينَ المتطهّرينَ، ووَفِّقَنَا لطاعتِك. وطاعةِ رسولك صلى الله عليه وسلم. يا كاشف الهمّ، يا مُفرّج الكَرب، يا مُجيب دعوة المُضطرّين. يا حنّان يا منّان. يا ذا الجلال والإكرام، اللهم شافِ وعافِ جميع مرضى المسلمين. إنّك نِعم المولى ونِعم المجيب. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اه.